**تحديد العصر الجاهلي**

يشمل العصر الجاهلي كل ما سبق الإسلام من حقب وأزمنة ، أي كل الأطوار التاريخية التي مرت بها الجزيرة العربية في عصورها القديمة قبل ميلاد المسيح (عليه السلام) وبعده . إن الأدب الذي بين أيدينا لا يمتد هذا العمق في الزمن ، ولا يتسع هذا الإتساع ، إنما يؤرخ للمدة الزمنية التي سبقت الإسلام بقرن ونصف ، هذه المدة هي الحقبة التي تكاملت للغة العربية خصائصها والتي جاءنا عنها الشعر الجاهلي ، وقد أكد ذلك الجاحظ بقوله : ( أما الشعر فحديث الميلاد صغير السن ، أول من نهج سبيله وسهل الطريق إليه امرؤ القيس بن حر ومهلهل بن ربيعة ... فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له إلى ان جاء الله بالإسلام خمسين ومائة عام واذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام ) مما يعني أن الشعر العربي قبل هذه الفترة مجهول ويشوبه الغموض .

اذن نقصد بالعصر الجاهلي هو العصر الذي سبق الاسلام بمائتي عام وما ورد قبل ذلك نسميه الجاهلية الأولى وهو يخرج عن العصر الذي ورثنا منه الشعر الجاهلي ، ومع قناعتنا ان الشعر الجاهلي موغل في القدم ، وأن الشعر الذي وصل إلينا لا يمكن ان يمثل أولية الشعر ، بل لا بد ان يكون الشعر قد مر بأطوار وأزمان حتى وصل إلى هذا المستوى من الرقي والكمال على يد امرئ القيس واضرابه ، وفي الشعر دلائل على ذلك منها قول امرئ القيس :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **عوجاً على الطلل المحيل لأننا** |  | **نبكي الديار كما بكى ابن حذام** |

وكذلك قول عنترة بن شداد :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **هل غادر الشعراء من متردم** |  | **أم هل عرفت الدار بعد توهم** |

مما يدل على أن امرأ القيس وعنترة مسبوقون بأجيال من الشعراء ، ولكن لم يصل إلينا شعرهم .

**معنى كلمة الجاهلية**

هل هذه الكلمة مشتقة من الجهل الذي هو ضد العلم ؟ أم من الجهل بمعنى السفه والغضب والطيش ؟ ولكي نقف على معنى هذه اللفظة لا بد من الرجوع إلى القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والشعر لنعرف معناها .

**القرآن الكريم**

وردت في القرآن آيات منها :

**قال تعالى** : ﭽ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ الأعراف: ١٩٩ .

**قال تعالى** : ﭽ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ الفرقان: ٦٣ .

**قال تعالى** : ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭼ آل عمران: ١٥٤ .

**قال تعالى** : ﭽ ﯾ ﯿ ﰀﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﭼ المائدة: ٥٠ .

**قال تعالى :** ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ الفتح: ٢٦ **.**

**الحديث الشريف**

ورد في الحديث الشريف أن الرسول (ص) قال لأبي ذر الغفاري وقد عير رجلاً بأمه: ( إنك امرؤ فيك جاهلية ) .

**الشعر :**

وردت هذه اللفظة في الشعر على لسان عمرو بن كلثوم في قوله :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **ألا لا يجهلن أحد علينا** |  | **فنجهل فوق جهل الجاهلينا** |

وقول الفرزدق :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **أحلامنا تزن الجبال رزانة** |  | **وتخالنا جنا إذا ما نجهل** |

فهذه النصوص جميعا استخدمت للدلالة على السفه والطيش والغضب والحمق واطلقت على العصر القريب من الإسلام ، أي العصر الجاهلي بكل ما فيه من وثنية واخلاق قوامها الحمية ، وأخذ بالثأر واقتراف ما حرمه الدين الحنيف من موبقات ، فالجاهلية إذن لا تعني الجهل بأمور الكتابة والقراءة .

**المعنى الإصطلاحي للأدب**

عن كلمة ( أدب ) من الكلمات التي تطور معناها بتطور حياة الأمة العربية ، وانتقالها من دور البداوة إلى دور الحضارة والمدينة ، وقد اختلف عليها معان متقاربة حتى أخذ معناها يقترب من المعنى الذي يدور في أذهاننا حالياً وهو :

الأدب : كلام إنشائي بليغ يقصد به التأثير في عواطف القارئ والسامع سواء أكان شعراً أم نثراً .

**معنى كلمة أدب في العصر الجاهلي**

دلت كلمة ( أدب ) على أسنة الشعراء بمعنى الداعي إلى الطعام أو المأدبة في مثل قول طرفة بن العبد :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **نحن في المشتاة ندعو الجفلى** |  | **لا ترى الأدب فينا ينتقر** |

أي أننا في الشتاء ندعو عامة الناس إلى الطعام ولا ترى داعينا يختار أناسا معنيين، أي نكرم الجميع .

فالمأدبة تعني الطعام الذي يدعى إليه الناس ، واشتقوا من هذا المعنى أدب بأدب أي بمعنى صنع مأدبة أو دعا إليها ، ثم توسعوا في معناها بمرور الزمن فاشتقوا منها (الأدب) يعني الأخلاق الكريمة والسجايا النبيلة ، لأنه يؤدب الناس إلى المحامد والمكارم ، وينهاهم عن المقابح ، وبين المعنيين صلة وثيقة ، لأن العرب يعيشون في صحراء قاحلة شحيحة بخيراتها ، لذلك تمدحوا بالقرى وبالغوا في اكرام الضيف ، أي ان اللفظة انتقلت من معناها الحسي المادي الى المعنى النفسي الخلقي .

وفي الشعر الجاهلي نصوص تدل على صحة ما نقول ، كقول بلعاء بن قيس الكناني:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **وإن أمت والفتى رهن بمصرعه** |  | **فقد قضيت من الآداب آرابا** |

وقال أم ثواب الهزانية في ابنها ثواب الذي عقها :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **أنشأ يمزق أثوابي يؤدبني** |  | **أبعد شيبي عندي يبتغي الأدبا** |

وكذلك قول عتبة بن ربية لأبنته هند يصف لها خاطبها أبا سفيان : ( يؤدب أهله ولا يؤدبونه ) .

**معنى كلمة أدب في عصر صدر الإسلام**

استخدمت هذه الكلمة بمدلولها الخلقي في عصر صدر الإسلام ، فقد ورد في الحديث الشريف ( أدبني ربي فأحسن تأديبي ) .

وقول الرسول (ص) : ( القرآن مأدبة الله في الأرض ) ، وقوله (ص) في الثلاثة الذين يؤتون أجرهم مرتين : ( ورل كانت عنده أمة فأدبها فأحسن تأديبها ) .

وقال عمر بن الخطاب (رض) لإبنه ( يا بني أنسب نفسك تصل رحمك ، واحفظ محاسن الشعر يحسن أدبك ) . وقال الإمام علي بن أبي طالب (رض) : ( وقد لبس للحكمة جنتها ، وأخذها بجميع أدبها من الإقبال عليها والمعرفة بها ، والتفرغ لها ) .

وقال حجر بن عدي للإمام علي (رض) : ( يا أمير المؤمنين نقبل عظتك ونتأدب بدبك ) .

أما في الشعر فقد وردت على لسان كعب بن سعد في رثاء أخيه :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **حبيب إلى الزوار غشيان بيته ج** |  | **جميل المحيا شب وهو أديب** |

أي أنه ذو أخلاق عالية لا ينطق بفاحش القول .

**معنى كلمة أدب في العصر الأموي**

ظل المعنى الخلقي الصرف مستخدما لهذه اللفظة في العصر الأموي ، بدليل قول سالم بن وابصة أحد شعراء عبد الملك بن مروان .

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **إذا شئت أن تدعى كريما مكرما** |  | **أديبا ظريفا عاقلا ماجدا حرا** |

ولكن هذه الكلمة تطورت الى معنى آخر تعليمي في هذا العصر ، فقد وجدت طائفة من المعلمين تسمى ( المؤدبين ) كانوا يعلمون أبناء الخلفاء مختلف معارف الثقافة العربية ، يعلمونهم الشعر والخطب واخبار العرب والأنساب والأيام في الجاهلية والإسلام .

قال معاوية : ( اجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر آدابكم فإن فيه مآثر أسلافكم ، ومواضع ارشادكم ) .

وقال عبد الملك بن مروان لمعلم أولاده : ( أدبهم برواية الشعر الأعشى فإنه قاتله الله ما كان أعذب بحره ، وأصلب صخره ) .

وقال عبيدة بن هلال اليشكري يمدح الخوارج :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **أدباء إما جئتهم خطباء** |  | **ضمناء كل كتيبة جرار** |

**معنى كلمة أدب في العصر العباسي**

استمر استخدام هذه الكلمة بمعناها التهذيبي والتعليمي في العصر العباسي بدليل أن ابن المقفع سمى رسالتين له فيها ضروب من الحكم والنصائح الخلقية والسياسية باسم ( الأدب الكبير ) و( الأدب الصغير ) .

وسمى ابو تمام الباب الثالث من ديوان الحماسة باسم ( باب الأدب ) ، فالكلمة كانت تطلق في العصر العباسي على معرفة أشعار العرب واخبارهم ، وألفوا كتبا سموها ( كتب الأدب ) مثل البيان والتبيين للجاحظ جمع فيه أشعار وأخبار وخطب ونوادر ، وملاحظات نقدية وبلاغية كثيرة .

وألف المبرد كتاب الكامل في اللغة والأدب أهتم فيه بدراسة اللغة أكثر من النقد والبلاغة .

ثم ألفت كتب كثيرة نذكر منها : عيون الأخبار لإبن قتيبة ، والعقد الفريج لإبن عبد ربه الأندلسي ، وزهر الآداب للحصري وكثير غيرها .

إن كلمة أدب في العصر العباسي شملت كل المعارف غير الدينية ، ولكن ابن خلدون في كتابه المقدمة استخدم هذه الكلمة بصورة أوسع فأطلقها على جميع المعارف دينية وغير دينية ، سواء فلسفة أو سياسة أو صيد أو معرفة الأنغام ، فكلها تعد من الأدب .

**خصائص الشعر الجاهلي**

كانت البادية بيئة الشعر ولذلك كان الشعر مرآة للحياة البدوية ويصوّر الحياة من حوله بما فيها من حيوان وأطلال وظواهر طبيعية ، وينقل ذلك شعراً صادقاً نقلاً دقيقاً وكان فحول الشعراء في الغالب من أهل العربي ، وعلى الرغم من وجود الشعراء برزوا في المدن والقرى إلاّ أنهم لم يتقدموا على شعراء البادية . وعلى هذا ينتظر أن نرى خصائص الشعر الجاهلي تدور حول البادية وما فيها إلاّ قليلاً من ألوان الحضر التي عرضت في شعر شعراء ذهبوا إلى برد طاح الملوك في العراق والشام وبلاد فارس ، من مثل الاعشى والنابغة وعدي بن زيد .

**ومن تلك الخصائص :**

**أولاً : الخصائص المعنوية :**

1. **الصدق**

الصدق في الشعر أن يعبر الشاعر عما يشعر به حقيقة عمّا يختلج في نفسه، وألاّ يتكلّف في إيراده وألاّ يبالغ في ذكر الحوادث سواء كانت قد وقعت حقيقة أم لم تقع ، فليس من الضروري – مثلاً – أن يكون قول عمرو بن كلثوم :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **"ملأنا البرّ حتى ضاق عنّا** |  | **وماء البحر نملؤه سيفنا** |
| **إذا بلغ العظام لنا صبيٌّ** |  | **تخرُّ له الجبابرةُ ساجدينا "** |

صحيحاً ونحن نعلم أنه غير صحيح ، ولكنّ المهم أن عمراً كان يشعر ذلك الشعور، فجاء صادقاً في التعبير عما يدور في ذهنه وشعوره .

1. **النزعة الوجدانية**

الشعر الجاهلي وجداني في الدرجة الأولى ، يصف نفس شاعره وشعوره ، حتى إن الشاعر القديم كان إذا عرض بحث موضوعي واقعي كوصف الصيد والحرب أو الحكمة والرثاء ، خلط معه شعوره فانقلب الموضوع في شعره موضوعاً وجدانياً . والأدب حقيقة هو الانتاج المطبوع ، وقد وصف ابن قتيبة في كتابه " الشعر والشعراء " الشاعر المطبوع فقال فيه: " من سمح بالشعر واقتدر على القوافي، وأراك في صدر بيته عجزه ، وفي فاتحته خاتمته ، وتبيّنتْ على شعره رونق الطبع ووشي الغريزة ، وإذا امتُحن بانشاد شعره لم يتلعثم ... " .

ولذلك كره النقّاد أشعار العلماء ، إذ ليس فيها شيء جاء عن إسماح وسهولة كشعر الأصمعي وشعر ابن المقفّع وشعر الخليل وسواهم .

ولعلّ النقاد من أجل ذلك ، فضلّوا أشعار البدو على أشعار الحضر لِما في شعر البدو من الطبع في القول والقفو في النظم ، ولِما في أشعار الحضر من التكلّف بعوامل من العلم والمداراة .

1. **البساطة**

إن الحياة الفطرية والبدوية ، والقِدم في الزمن عوامل تضافرت على جعل الشخصية الانسانية ساذجة وبسيطة ، فكذلك كانت البيئة الجاهلية ، وكذلك كان أثرها في الشعر الجاهلي .

وقد جرى الشاعر على طبعه وسجيته فلم يتكلّف في القول ما لم يشعر به ولم يتكلّف الإحاطة والشمول أو التعقيد والتعليل . وذلك ما نجده في قول عنترة بن شداد مخاطباً عبلة :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **ولقد ذكرتُكِ والرماحُ نواهِلٌ** |  | **مني وبيضُ الهندِ تقطرُ مِن دمي** |
| **فودَدتُ تقبيل السيوفِ لأنّها** |  | **لمعَتْ كبارقِ ثغرِكِ المتبسّمِ** |

1. **القول الجامع**

كانت الصفة الغالبة على الشعر الجاهلي أنه شعر غنائي وجداني، لذا كان مَعرِضاَ للآراء المفردة أكثر منه معالجةً مُستفيضةً استجماع القول حتى كان البيت الواحد من الشعر يجمع معاني تامة مما جعل الأقدمين يفتخرون بذلك .

وقد أعجب النقاد بقول امرئ القيس :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **قِفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ ج** |  |  |
|  |  | **بسِقْطِ الِّلوى بين الدَّخولِ فَحَوْمَلِ** |

وقالوا : إنه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيبة والمنزل في بيتٍ واحد .

1. **الإطالة والاستطراد**

إذ كان يُحمد في الشاعر الجاهلي أن يكون طويل النفس أي يطيل القصائد ، وقد يخرج الشاعر – أحياناً – عن الموضوع الأساس الى موضوعات تتعلق به من قريب أو بعيد ، وهذا ما يُسمّى بالاستطراد .

1. **الخيال :**

إذا كان اتساع أفق الصحراء قد أدّى الى اتساع خيال الشاعر ، فهذا الشاعر كان فطرياً بسيطاً كبيئته ، ولكن من الشعراء من اتصل بالحضر مثل الأعشى والنابغة وامرئ القيس ، فكانوا في خيالهم أوسع وأعمق وأدق كالذي نراه في معلقة امرئ القيس عند كلامه على البرق والمطر والسّيل ، وكان خياله يعتمد على التشبيهات والاستعارات أكثر من اعتماده على انتزاع الصور من الطبيعة ، كالذي نقرأ له ، لامرئ القيس في معلقته :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **وليلٍ كموجِ البحر أرخى سدولهُ** |  | **عليَّ بأنواع الهمومِ ليبتلي** |
| **فقلتُ له لَمّا تمطّى بصلبهِ** |  | **وأردفَ أعجازاً وناءَ بكلكلِ** |
| **ألا أيّها الطويلُ ألا انجلي** |  | **بصبحٍ وما إلا صباحُ منك بأمثلِ** |

**ثانياً : الخصائص اللفظية**

من أهم ما يلاحظ على الشعر الجاهلي أنه كامل الصياغة فالتراكيب تامة ولها رصيدها من المدلولات اللفظية التي تُعبّر عنه وهي في أكثرها مدلولات حسّية مادية منظورة فلا قصور فيها ولا عجز . وهذا الجانب في الشعر الجاهلي يصور رقيّاً لغوياً ولم يكن عفوياً في أكثر جوانبه وقد سبقته تجارب كثيرة ما زالت تنمو وتتكامل حتى أخذت الصياغة الشعرية صورتها الكاملة ، فالألفاظ توضع في مكانه والعبارات تؤدي معانيها من دون اضطراب ، حتى لتكاد قصائدهم تتحول إلى ما يشبه طريفاً مرسوماً ينتجونه لا يحيون عنه ، ولا أدل على ذلك ما جاء في شعر زهير من قول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **ما أرانا نقولُ إلاّ مُعاراً** |  | **أو مُعاداً من لفظنا مكرورا** |

1. **غرابة الألفاظ وجزالتها**

إذا قرأنا –اليوم- الشعر الجاهلي ، وقعنا في أكثره على كلمات غريبة أي غير مألوفة لدينا في يومنا هذا واستعمالاتنا اللغوية ، ولكن هذه الكلمات كانت –يومذاك- مألوفة مأنوسة لدى ذلك المجتمع والشعراء ، مستمدة من واقع بيئة الصحراء وقيامها وجمالها ونباتها ، ولما انقطع ما بيننا وبين تلك الحياة انقطعت الصّلة بيننا وبين الكلمات الدّالة عليها وعلى أوجهها وأدواتها – كالذي نجده في معلقة طرفة ووصفه لناقته مثلاً- علماً أنّ الكلمة الغريبة قد تكون جميلة اللفظ مثل " رِئال " ونِعام ، وقد تكون وحشية مستكرهة في اللفظ مثل " بُعاق " .

1. **متانة التركيب وبلاغة الأداء**

والتراكيب في الشعر الجاهلي متينة أي تجري على قواعد اللغة العربية ، فلا ضعف من تقديم لفظٍ في غير محلّه ، أو تأخير في لفظ الى غير المكان الذي يقتضيه الاسلوب اللغوي . فكانت تراكيبه بليغة ، أي تؤدي المعاني المقصودة منها في الاحوال المناسبة أما حقيقة أو مجازاً بتشبيهات واستعارات وكنايات تفصح عن المعاني ، وإن كانت هناك ألفاظ من الطباق والجناس إلاّ أنها غير مقصودة ولعل شاعرها لم يفطن إليها .

1. **العناية والتنقيح**

بما أن الشاعر الجاهلي كان يجري في شعره على سجيته وطبعه فإنّه لم يتكلّف –عادةً- فيما كان ينظمه ، بل كان يُلقيه إلى الناس كما يخطر له ويدور في خياله . على أن هناك نفر من الشعراء كانوا يأخذون شعرهم بالعناية والتنقيح أسماهم الرواة " عبيد الشعر " لأنهم كانوا يتكلّفون ترصيع الشعر وتنقيته بعد نظمه ، وكان من هؤلاء زهير والنابغة والحطيئة وطفيل الغنوي ، حتى إن منهم من كان يخرج قصيدته في حول كامل كالذي عرف عن زهير بالحوليات .

**المقدمة الطللية**

تعد المقدمة الطللية أهم سمة ميزة للشعر العربي في العصر الجاهلي ، وهي لازمة مضت في أغلب التقديم لموضوعات الشعراء في قصائدهم حتى كأنها قد غدت عرفاً تقليدياً توارثه الشعراء في العصر الجاهلي في وقت اكتمال القصيدة الجاهلية ونموها وتطورها في ذلك الزمن الذي حدد بقرنين من الزمان قبل الاسلام حتى غدا الشاعر لا يحيل عن تلك المقدمة مستهلاًّ موضوعه بالوقوف على اطلال الأحبة الراحلين وتذكر مرابع الهوى والحياة الجميلة التي جمعته بهؤلاء الراحلين في زمن جميل عهد فيه الشاعر كلَّ أنسه ومحبته وأهله ، ولكن طبيعة الحياة في ذلك العصر كانت تجعل من العربي في تنقل دائم حيث يطلب الحياة والماء والكلأ .

فالطلل هو سجل ذكريات الشاعر ذلك أن العرب رحّالة لا يقيمون في مكان معين ، لذلك كثر ذكر الأماكن لشدة تعلّقه بها في مصدر يوحي إليه دائماً بملاعب الطفولة والصبا والحب والأهل والأحبة ، والمكان يبرز مدى انشداد الشاعر أو العربي بصورة عامة إلى ثباته في الأرض وتعلّقه بها وإنها بمثابة قوته ومكانته .

وكثير ما كانت تنشأ بدايات الحب العذري بين الشاعر والمحبوبة التي تسكن إلى جنبه حيث تحلّ قبيلته في مكان توافر المياه والعشب ، وذكر ذلك هو واحدة من المواقف الاسطورية ويعد الطلل واحداً منها ، لذا كان يخاطب الطلل بعد تناثر الود والوصال والعلاقة التي ارتبط بها مع القبائل الأخرى ، فما عاد من سبيل لديه ليمسك بتلك العلائق وتلك الذكريات إلاّ بذكر مرابع الهوى والتواصل الاجتماعي متمثلاً في وقوفه على تلك الأطلال والآثار وقد تمثلت بأماكن ايفاد التراث ونؤي الأحواض وأسداف الستائر والخيم التي كانوا يضربونها للأيواء والحياة بين جنباتها .

ومن أهم المعلقات التي حظيت باهتمام النقاد والادباء معلقة امرئ القيس وتلك المقدمة الطللية الواضحة المعالم والخصائص الفنية والموضوعية ، التي افتتح بها معلقته إذ نجده يستهلها بالوقوف على طلل الحبيبة الراحلة ودعوة صاحبيه أو أصحابه للوقوف معه عند تلك الآثار والأطلال وبكاء الأهل الراحلين عنها وإعادة الذكريات التي كانت تجمعه بالأحبة وتقصي آثار الأماكن التي حلّوا فيها ثم نزحوا عنها وهجروها أطلالاً لا حياة فيها بل أصبحت ملعباً للرياح التي تهب عليها من جنوب وشمال وبقايا الحيوانات التي كانت ترتع فيها مع أهلها الذين سكنوها ، وقد خلفت تلك الآثار والأطلال الذكريات العارمة في قلب الشاعر فبات في حزن شديد وبكاء كثير على هؤلاء الأحبة .

وقد استهل امرؤ القيس معلقته بهذه المقدمة الطللية الرائعة قائلاً :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزل** |  |  |
|  |  | **بسقط اللّوى بين الدَّخول فحومَلِ** |
| **فتوضحُ فالمقراةِ لم يَعفُ رسمُها** |  |  |
|  |  | **لِما نسجْتها مِن جَنوبٍ وشمألٍ** |
| **ترى بَعَر الآرامِ في عرصاتِها** |  |  |
|  |  | **وقيعانِها كأنّه جبُّ فُلفلِ** |
| **كأنّي غداةَ البينِ يومَ تحمّلوا** |  |  |
|  |  | **لِدى سَمُراتِ الحيِّ ناقِفُ حنظلِ** |
| **وُقوفاً بها صحبي عليّ مطيّهم** |  |  |
|  |  | **يقولون لا تهلكْ أسىً وتجمَّلِ** |
| **وإنّ شفائي عَبرةٌ مُهراقةٌ** |  |  |
|  |  | **فهل عند رسمٍ دارسٍ مِن مُعوَّلِ** |

**المعلقات وشعراؤها**

المعلقات قصائد طوال جياد ، اختيرت من أحسن الشعر الجاهلي قوة ومتانة وجمالا ، لأنها تمثل الصورة الناضجة الكاملة التي انتهت إليها تجارب الجاهليين في التعبير الأدبي ، وهذه القصائد طغت شهرتها على ما سواها من الشعر الجاهلي ، وصار شعراؤها مشهورين ، وصار الشعراء من بعدهم ينظمون على غرار هذه القصائد محاولين أن يبلغوا مبلغ أولئك الشعراء الجاهليين في معلقاتهم .

**عدد المعلقات**

اتفق القدماء " ابن عبد ربه الأندلسي ، وابن رشيق القيرواني ، وابو جعفر النحاس ، وابن الانباري ، والزوزني باستثناء التبريزي " على أن المعلقات سبع هي : لامرئ القيس ، وزهير بن ابي سلمى ، وطرفة بن العبد ، ولبيد بن ربيعة ، وعمرو بن كلثوم ، والحارث بن حلزة ، وعنترة بن شداد .

ولم يخالفهم في هذه الاسماء إلا ابو زيد القرشي صاحب كتاب ( جمهرة أشعار العرب ) وكان خلافه في الشعراء ليس في العدد ، فقد أخرج الحارث بن حلزة وعنترة، وأضاف عليهم النابغة الذبياني والأعشى .

أما التبريزي شارح المعلقات فقد جمع بين رأي هؤلاء المجمعين على أصحاب المعلقات وبين رأي ابي زيد القرشي ثم أضاف إليهم عبيد بن الأبرص فأصبح العدد عنده عشرة .

نخرج من ذلك أن شعراء المعلقات سبعة وان الخلاف انحصر بين الرواة وابي زيد القرشي حول النابغة والأعشى .

**تسمية المعلقات**

سميت المعلقات اسماء أخرى تفيد معنى النفاسة والجودة والاختيار والتعليق والعدد ، ومن هذه الأسماء :

1. السبع الطوال : روي عن أبي جعفر النحاس ان حماد الراوية هو الذي جمع السبع الطوال ، كذلك جاءت عند ابي زيد القرشي فقد نقل عن المفضل " أن امرأ القيس وزهيرا والنابغة والأعشى ولبيدا وعمرا وطرفة أصحاب السبع الطوال " .
2. السموط .
3. السبع الطوال الجاهلية : وهذه تسمية ابن الأنباري .
4. المذهبات : يدعى أنها كتبت بماء الذهب ، ولعل أقدم رواية في ذلك جاءت عند ابن قتيبة في حديثه عن عنترة العبسي قال : " فكان أول ما قاله قصيدته (هل غادر الشعراء من متردم) وهي أجود شعره ، وكانوا يسمونها (المذهبة).

في حين أن ابن عبد ربه يذهب على التذهيب بشيء من الوضوح والتفصيل ، إذ قال : " حتى لقد بلغ من كلف العرب بالشعر وتفضيلها له أن عمدت إلى سبع قصائد تخيرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القلاطي المدرجة وعلقتها بين أستار الكعبة ، فمنه يقال مذهبة امرئ القيس ، ومذهبة زهير بن أبي سلمى ، والمذهبات سبع وقد يقال المعلقات " .

وقال ابن رشيق القيرواني : " فكتبت في القباطي بماء الذهب " ، ولكن أبا زيد القرشي يطلق اسم المذهبات على مجموعة مختارة من قصائد الأوس والخزرج .

1. القصائد المشهورة .
2. السبعيات.

ولكن أشهر هذه التسميات هي المعلقات ، وهذا الاسم هو الذي شاع في العصور المتأخرة .

والمعلقات كما ذكرنا هي القصائد التي وقع عليها الاختيار واستحسنها الناس وقد حاول البعض أن يفسر التعليق تفسيرات عدة . فيرى بعضهم أن هذه القصائد سميت بهذا الاسم لا لأنها علقت على أستار الكعبة ، بل هي من العلق أي النفيس الجيد ، ولعل أقدم اشارة إلى التعليق هي رواية ابن الكلبي (204هجرية) إذ قال : " أول شعر علق في الجاهلية شعر امرئ القيس على ركن من أركان الكعبة أيام الموسم ، حتى نظر إليه ثم أحدر ، فعلقت الشعراء من بعده ، وكان ذلك فخرا للعرب في الجاهلية ، وعدوا من علق شعره سبعة نفر " .

وقال بالتعليق أيضاً ابن عبد ربه ، وكذلك ابن رشيق القيرواني ، وتبعه ابن خلدون . مما يبين ان المعلقات كتبت وعلقت على أستار الكعبة .

في حين أن بعض القدماء لم ترد عندهم تسمية المعلقات ولا خبر التعليق ، من هؤلاء ابن سلام الجمحي(231هجرية) والجاحظ(255هجرية) وابن قتيبة(276هجرية) والمبرد(285هجرية) وابن الأنباري(328هجرية) وأبو جعفر النحاس(337هجرية) والأصفهاني(356هجرية) .

**مطالع المعلقات**

* امرؤ القيس

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل** |  | **بسقط اللوى بين الدخول فحومل** |

* طرفة بن العبد

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **لخولة أطلال ببرقة ثمهد** |  | **تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد** |

* زهير بن أبي سلمى

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **أمن أوفى دمنة لم تكلم** |  | **بحومانة الدراج فالمتثلم** |

* لبيد بن ربيعة

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **عفت الديار محلها فمقامها** |  | **بمنى تأبد غولها فرجامها** |

* عمرو بن كلثوم

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **ألا هبي بصحنك فاصبحينا** |  | **ولا تبقي خمور الاندرينا ج** |

* عنترة بن شداد

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **هل غادر الشعراء من متردم** |  | **أم هل عرفت الدار بعد توهم** |

* الحارث بن حلزة

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **آذنتنا ببينها أسماء** |  | **رب ثاو يمل منه الثواء** |

* النابغة الذبياني

برواية أبي زيد القرشي

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **عوجو فحيو لنعم دمنة الدار** |  | **ماذا تحيون من نؤي وأحجار** |

برواية التبريزي

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **يا دار مية بالعياء فالسند** |  | **أقوت وطال عليها سالف الأمد** |

الأعشى

برواية أبي زيد القرشي

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **ما بكاء الكبير بالأطلال** |  | **وسؤالي وما ترد سؤالي** |

برواية التبريزي

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **ودع هريرة إن الرحل مرتحل** |  | **وهل تطيق وداعا أيها الرجل** |

**شعراء المعلقات**

1. **امرؤ القيس**

هو امرؤ القيس بن حُجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار ابن عمرو بن معاوية بن ثور بن مرتع . ويُكنّى أبا وهب ، وكان يُقال له الملك الضليل ، وقيل له ذو القروح .

وامرؤ القيس من الشعراء الفحول في الجاهلية ، وجعله ابن سلاّم على رأس الطبقة الأولى من شعراء الجاهلية وقدّمه على زهير بن أبي سلمى والنابغة الذبياني والأعشى .

حاول الثأر من قاتلي والده ملك كِندة من بني أسد فلم ينصره أحد من العرب فذهب الى ملك الروم في قصته معروفة ، ولكن وُشي به لدى الملك ، فأهداه الملك درعاً مسموعاً فلما لبسه امرؤ القيس مات من نوره . قيل أن وفاته في 80 قبل الهجرة أما معلقته فمطلعها :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **قِفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ** |  |  |
|  |  | **بسقطِ اللَّوى بين الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ** |

1. **طرفة بن العبد**

هو طرفة بن العبد بن سعد بن مالك ويرجع الى بكر بن وائل . قال عنه ابن قتيبة هو أجود الشعراء قصيدة ، وله شعر حسن مع معلقته وعُرف عنه الحكمة والفارس البطل الشجاع ، وكان ذكياً متوقد الذهن ، مات أبوه وهو صغير فأبى عمومته أن يقسموا ماله وكانت امّه من بني تغلب واسمها وردة وقد ذكرها في شعره وغدر بني عمومته لحقها وأكل مالها باطلاً ، ومات مقتولاً وكان سبب قتله أنه هجا عمرو بن هند وأخاه قابوس فدبرا له مكيدة فقتلاه .

أما معلقته فمطلعها :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **لخولةَ أطلالٌ ببُرقةِ ثهمدِ** |  |  |
|  |  | **تلوح كباقي الوشمِ في ظاهرِ اليَدِ** |

1. **زهير بن أبي سلمى المزني**

عن قبيلة مزنية بن مضر وكانت ديارهم في بلاد غطفان . وهو أحد الشعراء الثلاثة المتقدمين على الشعراء باتفاق أهل الأدب وهم امرؤ القيس ، زهير ، النابغة الذبياني ، وكانوا من أشعر الناس من أهل الوبر . يقترن اسم زهير بممدوحيه السيد بن هرم بن سنان والحرث بن عوف اللذين اوقفا حرب داحس والغبراء بما لهم وقولهم السديد وقد ذكرهما في شعره واثنى عليهما كثيراُ . عُرف زهير بالحكمة وأنه كان يخرج قصائدهم في عام وكانت تسمى الحوليات . كان يتعفف في شعره كثيراً وجاء في شعره ما يشير الى ايمانه بالبعث . وكانت وفاته سنة 14قبل الهجرة .

ومعلقته مطلعها :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **أمِن أمِّ أوفى دِمنةٌ لم تكلَّمِ** |  | **بحَومَانةِ الدرّاجِ فالمُتثَلَّمِ** |

1. **لبيد بن ربيعة العامري**

يرجع نسبه الى ربيعة بن عامر بن صعصعة . مات ابوه وهو صغير في حرب كانت بين بني عامر وبني لبيد . أمّه عبسية اسمها تامرة .

وهو من الشعراء المجيدين المعروفين ومن فحول الشعراء وكان في الطبقة الثالثة من طبقات ابن سلاّم . وكان لبيد من فرسان هوازن ، وقد عمّر كثيراً وادرك الاسلام وقيل بلغ من العمر مائة واربعين سنة ومات 40للهجرة .

ومطلع معلقته :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **عفتِ الديارُ محلُّها فمُقامُها** |  | **بمنىً تأبَّدَ غولُها فرِجَامُها** |

1. **عمرو بن كلثوم التغلبي :**

ويرجع نسبه الى عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل . كان شاعراً فارساً ، وهو أحد فُتّاك العرب ، وهو الذي فتك بعمرو بن هند ، وكنيته ابو الاسود . كان شجاعاً مقداماً يُضرب به المثل ، حتى لضرب المثل بقصيدته المعلقة على حد قول أحد الشعراء :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **ألهىَ بني تغلبٍ عن كلِّ مكرمةٍ** |  | **قصيدةٌ قالها عمرو بن كلثومِ** |

أما مطلع معلقة عمرو بن كلثوم :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **ألا هبّي بصحنك فاصبحينا** |  | **ولا تُبقي ضُمورَ الأندرينا** |

1. **عنترة بن شداد العبسي**

أحد فرسان العرب المشهورين وأجوادهم المعروفين وأحد الأغربة الجاهليين بسبب سواد بشرته ، وأغربة العرب هم عنترة وخفاف بن ندبة وعمير ابن الحباب والسليك بن السلكة . وقد عرف عنترة بحبّه لابنة عمه عبلة وذكرها في شعر عفيف يدل على خلق صاحبه ودماثيه ، وقصته في ذلك معروفة كما فروسيته التي طارت سيرته فيها .

وكانت معلقته تسميها العرب " المذهّبة " لحسنها ، مواقفه في حرب عبس وذبيان مشهورة في أيام العرب . وقد توفي سنة 22قبل الهجرة . أما مطلع معلقته:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **هل غادر الشعراء من متردَّمِ** |  |  |
|  |  | **أم هل عَرفتَ الدّارَ بعد تَوَهُّمِ** |

1. **الحارث بن حلزة اليشكري**

من أجود الشعراء ممن قال قصيدة واحدة جيدة طويلة . وقد ذكر فيها أيام قبيلته وحربها مع بكر بن وائل بسبب ما أصاب قومهم الذين كانوا يغزون مع عمرو بن هند .

ومطلع معلقته:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **آذنتنا ببينها أسماءُ** |  | **رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثَّواءُ** |

1. **الأعشى :**

ميمون بن قيس ويرجع نسبه الى ربيعة بن نزار ، ويكنّى أبا بصير ، وكان يُسمّى صنّاجة العرب لجودة شعره وكان يتغنى به ويطوف البلدان في رحلات واسفار كثيرة ويمدح الملوك . وهو أحد فحول الشعراء الجاهليين وفي الطبقة الأولى من الشعراء عند ابن سلاّم .

وقال شعراً كثيراً جداً وله ديوان شِعر كبير وفيه قصائد طوال كثيرة تدل على نفس الشاعر وتقدمه ومكنته وبراعته الفنية . توفي في السنة السابعة للهجرة وحاول أن يدخل الاسلام لكن أمراً حال دون ذلك .

أما مطلع معلقته :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **ودّع هُريرةَ إنّ الركبَ مُرتحلُ** |  |  |
|  |  | **وهل تُطيق وداعاً أيُّها الرجلُ** |

1. **النابغة الذبياني**

واسمه زياد بن عمرو بن معاوية ، يرجع نسبه الى عوف بن سعد بن ذبيان . ويكنّى أبا أمامة . لقب بالنابغة لأنه كبر ولم يقل شعراً فنبغ في قول الشعر بغتةً . وهو أحد فحول الشعراء وفي الطبقة الأول من طبقات ابن سلام للشعراء المتقدمين من الشعراء الجاهليين . وهو من أحسن الشعراء ديباجة واكثر كلام ورونق . وكان شعره بلا تكلف اتصل بملوك الغساسنة والمناذرة وملوك فارس وقال شعراً كثيراً يمدحهم فيه ، وكانت صلته قوية بملك المناذرة النعمان بن المنذر. وكان يتحاكم إليه الشعراء في شعرهم وقصائدهم . توفي 18قبل الهجرة .

أما مطلع معلقته :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **يا دارَ ميّةَ بالعلياءِ فالسَنَدِ** |  | **أقوت وطال عليها سالفُ الأبدِ** |

1. **عبيد بن الأبرص**

من بني أسد القبيلة العربية المعروفة وكان من فحول شعراء الجاهلية . وقد دخل في سجالات شعرية عدائية مع الشاعر امرئ القيس بسبب قتل بني اسد لملك كندة والد امرئ القيس وكان من الشعراء المقدمين وقد جعله ابن سلاّم في الطبقة الرابعة وقرنه بطرفة بن العبد وعلقمة الفحل وعدي بن زيد العبادي .

أما مطلع معلقته :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **أقفَرَ مِن أهلِهِ ملحوب** |  |  |
|  |  | **فالقُطَّبِيّاتُ فالذَّنُوبُ** |

**اغراض الشعر الجاهلي**

**الغزل**

يعد فن الغزل من أهم الفنون الشعرية وأبرز موضوعات الشعر وهو أعلقها الى القلب وأقربها الى طبيعة الانسان .

وقد لقي الغزل عناية كبيرة من الشعراء إذْ سجّلوا فيه عواطفهم وخواطرهم ازاء المرأة ومن يُحبون ، فذكروا محاسن المرأة وصفاتها الجمالية وسحرها وما يفعل فيهم الشوق وما يثير فيهم من المشاعر . لذا لم يحفل العرب بشيء مثل احتفالهم بالغزل سواء أكان صادراً عن القلب أم كان تقليداً مستحباً لديهم توارثوه عن السلف ، وذلك ما كانوا يستفتحون به قصائدهم ومطولاتهم الشعرية .

ونقرأ في معلقة امرئ القيس مقاييس للجمال في المرأة التي يتغزل بها وهي مقاييس أحبها الجاهليون ؛ إذ يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **وجيدٍ كجيدٍ الرَّئمِ ليس بفاحشٍ** |  |  |
|  |  | **إذا هي نصَّتْة ولا بمعَطّلِ** |
| **وفرعٍ يُغشّي المتْنَ أسودِ فاحم** |  |  |
|  |  | **أثيثٍ كِقنوِ النخلة المتعثكلِ** |
| **غدائُره متشزراتٌ الى العلا** |  |  |
|  |  | **تَضِلّ المداريُ في مثنى ومُرسَلِ** |
| **وكَشْحٍ لطيفٍ كالجديلِ مُخصَّرٍ** |  |  |
|  |  | **وساقٍ كأنبوبِ السقيِّ المذَلّلِ** |
| **وتُضحي فتبتُ المسك فوق فراشها** |  |  |
|  |  | **نؤوم الضحى لم تنطقُ عن تفَضُّلِ** |

**معاني الأبيات :**

الرئم : الضبي الأبيض الخالص البياض .

النصّ : السير السريع . الجيد : العنق .

الفرع : الشعر . الاثيث : الكثير .

الغدائر : خصل الشعر . متشزرات : متطايرة

المداري : خصل الشعر الملتوية والمتجمعة .

انبوب الشقّي أي القصب المسقي .

فهي مواصفات في نهاية الجمال وغاية الاستشراق من حسن المرأة حينما عمد الشاعر امرؤ القيس الى تشبيه جمال تلك المرأة بجمال ضبي خالص البياض وقد استحسن منه جيده الرائق المنعّم . ونظر الى شعر تلك المرأة الفاحم السّواد وهي صفة محبوبة في أن يكون شعر المرأة بهذا السّواد وأنه كثيف جداً وقد تدلت غدائره وخصله الكثيفة . وأنها امرأة ذات صخور ورشاقة وسيقان صافية في لونها وبهائها مثل سيقان بردي بين نخيل قد اظلته أغصانها . ولم يكشف بمحاسنها الجسدية بل ينقلنا في البيت الأخير يظهر لنا أنها امرأة حسناء منعمة وانها كثيرة النوم وقت الضحى ودقائق المسك على فراشها وأنها – لأنها مخدومة – لا تضع حزاماً على وسطها للعمل وثوب المهنة لأن هناك مَن يكفيها امور حياتها الخاصة .

المديح : وهو ذكر مناقب الممدوح سواء أكان من اشراف أو سادات القبيلة أو من الفرسان والشجعان والكرماء من الذين تتمثل فيهم الفضائل الانسانية أو ممن يقدم منهم على عمل يستحق فيه الثناء والتمجيد والذكر الحسن كإكرام ضيف أو فكّ قيد أسير مرتهن أو دفع الدّيات .

وقد برز المديح لدى شعراء كثيرين وكان منهم من تكسّب فيه وبلغ مبلغه في ذلك كالأعشى ، ولكن هناك من لم يكن مديحه من أجل المكسب الماديّ من مثل زهير بن أبي سلمى الذي اختصّ بمديح أشراف قومه كهرم بن سنان والحارث بن عوف اللذين بلغا غاية المجد في الكرم والسماحة حينما سعيا إلى إيقاف حرب داحس والغبراء ، ومديحه أيضاً في حصن بن حذيفة الغزاري .

وكذلك ما نجده في شعر النابغة الذبياني ومديحه الكثير في ملوك المناذرة والغساسنة، وغيره كثير من الشعراء الذين ولجوا بلاطات الممالك والامارات أمثال : المثقّب العبدي والمتلمّس والممزق العبدي والمسيّب بن علس .

ومن جيد المديح في شعر زهير ما قاله في هرم بن سنان والحارث بن عوف بعد انتهاء حرب داحس والغبراء مٌشيداً بدورهما الكبير في ذلك ، قائلاً :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **فأقسمْتُ بالبيت الذي طاف حوله** |  |  |
|  |  | **رجالٌ بنوه من قريشٍ وجُرهمِ** |
| **يميناً لَنِعمَ السيدانِ وُجدّتما** |  |  |
|  |  | **على كلِّ حالٍ مِن سجيلٍ ومُبرَمِ** |
| **تداركتما عَباً وذبيانَ بعدما** |  |  |
|  |  | **تفانوا ودقّوا بينهم عِطرَ منَشمِ** |
| **وقد قلتُما إن ندركَ السِّمَ واسعاً** |  |  |
|  |  | **بمالٍ ومعروفٍ مِن القولِ منسلمِ** |

**الحماسة**

تعني القوة والشدّة والشجاعة ، والحماسة فن الحرب والقتال والتغني بصفات البطولة والرجولة وركوب المخاطر ووصف ما في الحرب من فنون الكرّ والغرّ ووصف السلاح والقتلى ومصارعهم ، أو الدعوة الى الحرب والأخذ بالثأر .

وما دام شعر الحماسة يصور البطولة والمثل العليا للفرسان والفروسية التي تقوم عليها حياة البدوي في تلك الصحراء التي لا تُحدّ بحدّ وما تحمل من المخاوف بين طيات رمالها وكثبانها لذا كان على الشاعر العربي أن يؤصل مواطن الشجاعة لدى القوم والدعوة الى الثبات في الحرب والوقوف بوجه الأعداء ، وذلك ما نقرؤه لدى كثير من الشعراء الفرسان وغير الفرسان وما أتوا به من أشعار من أصدق الأشعار وأقواها وأكثرها أثراً في النفوس .

وتكاد الصورة التي رسمها الشاعر الحصين بن الحمام المرّي لجانب من معركة خاضها وأبلى فيها وقومه عظيم البلاء ، فيقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **ولمّا رأيتُ الودَّ ليس بنافعي** |  |  |
|  |  | **وإنْ كان يوماً ذا كواكبٍ مُظلما** |
| **صَبْرنا وكان الصبرُ فينا سَجيةً** |  |  |
|  |  | **بأسيافِنا يقطعْنَ كفاً ومعصما** |
| **يغلقن هاماً مِن رجالٍ أعزّةٍ** |  |  |
|  |  | **علينا ، وهم كانوا أعقَّ وأظلما** |
| **وجوهُ عدوٍّ والصدورُ حديثةٌ** |  |  |
|  |  | **بودٍّ ، فأودي كلُّ ودسّ فأنعما** |

**الرثـــــــاء**

وهو فن آخر من فنون الشعر التي أجاد فيها الشعراء ، لأنه تعبير صادق وأكيد عن خلجات القلب الحزين والنفوس الفجعة وابداء التحسّر على عزيز فقدوه . لذا فهو قريب من النفوس حتماً ، والرثاء الصادق تعبير مباشر قلّما تشوبه الصنعة أو التكلف . وبما أن الحياة الجاهلية حياة تكاد تطغى عليها سمة الحرب وحدوث الغارات التي يسقط فيها الأعزة فيبكي الأهل فتتلاحم ويشيرون ببكائهم لوعة القلوب والنفوس ويؤججون أحزانهم فيدفعونهم لشحذ سيوفهم استعداداً للنزال بثأرهم والظفر على الأعداء في حروبهم .

**واتسم الرثاء بثلاثة أنواع أو أساليب للحزن :**

1. البكاء والنواح والعويل وما يجيء فيه من ألفاظ الحزن واستمطار الدموع والنوح وما يصاحب ذلك من لطم الخدود والصدور ، واكثر ما يكون ذلك ما تفعله النساء في المأتم وعرف هذا الضرب عن الرثاء بـــ " الندب " .
2. أما الضرب الثاني فعُرف بــــ " التأبين " أي ذكر الميت والثناء على صفاته وأخلاقه وفضائله وتعداد محامده في البطولة والشجاعة والكرم والحلم والسماحة والسيادة .
3. أما الضرب الثالث فهو " العزاء " ويتجه فيه الشاعر الى التفكر في رحلة الحياة ومصير الناس وحتمية الأقدار ونزول البلاء وضعف الانسان أمام نوازل الدهر ومصائبه فيلتمس من ذلك كله الصبر والسلوان والرضا بالقدر والاستسلام ومن شعر الرثاء الذي ناح به الربيع بن زياد على أحدهم :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **من كان مسروراً بمقتلِ مالكٍ** |  | **فليأتِ ساحتنا بوجهِ نهارِ** |
| **يجدْ النساءَ قواريراً بندبْنه** |  | **يلطمن أوجههن بالأسحارِ** |
| **قِدكُنّ يخبّأنَ الوجوهَ تستّراً** |  | **فاليومَ قد أبرزْتَ للنظّارِ** |
| **يَضربْن حُرَّ وجوهِهن على فتى** |  | **عفِّ الشمائِل طيّب الأخبارِ** |

**الهجاء**

الهجاء تعبير عن عاطفة السَّخط والغضب ازاء الآخرين ممن يبغضهم الشاعر ويعبر في شعره بأهاجيه عما يَمور في صدره من أحقاد وكراهية وضغينة . لذا كان الهجاء سلاحاً من أسلحة القتال لإضعاف معنوية الخصم والانتقاص منهم والتوعد بهم . والهجاء شأنه شأن الحماسة بسبب ارتباطه بالحرب وكثيراً ما كان يرتبط بقصائد الحماسة والارتباط القبلي والعبية القبلية التي تحتم على الشاعر احترام العقد الاجتماعي مع القبيلة التي ينتمي إليها وفيها عزّه آبائه وأجداده وأبنائه وحتى نسائه وشرف نسبه وسمو مكانته الاجتماعية .

وكان للهجاء وقعه البالغ في نفس المهجو والخصوم ، فكانوا يتحاشون لسان الهجاء لأنهم سيلقون منه كلّ تندّر وقبيح من اللفظ والإساءة ، لذا كانوا يتوارون خجلاً من لسان الشاعر لأن هجاءه سيلصق بهم ما داموا ويصبح سُبّةً لا يمحوها الدهر كالذي هجا به الشاعر قيس بن عمرو النجاشي بني العجلان ، قائلاً :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **وما سُمّي العجلانَ إلاّ لقولهم** |  |  |
|  |  | **خذْ القعبَ واحلبْ أيها العبدُ واعجَلِ** |

ولكن من الهجاء ما كانت تستحسنه النفوس ويُلاقي إقبالاً وسمعاً بحسن الألفاظ التي يختارها الشاعر بصياغة جميلة ومعانٍ عميقة ذات دلالة تنال من المهجو باسلوب ذكري طريف ، كأن يتخذ طريقة الاستهانة بالخصم أو تجاهله أو التشكيك فيه ، كالذي فعله زهير بن أبي سلمى في آل حصن ، قائلاً :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **وما أدري وسوف أخالُ أدري** |  |  |
|  |  | **أقومٌ آلُ حصنٍ أم نساءُ** |
| **فإنْ تك النساءُ مخبآتٍ** |  |  |
|  |  | **فحُقَّ لكلِّ مُحَصنةٍ هِداءُ** |

أو قوله في بني الصيداء حينما استاقوا أبلا له مع غلام :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **فليأتينّك مني منطقٌ قذعٌ** |  | **باقٍ كمَا دنَّسَ القبطية الوَدَكُ** |

**الوصف :**

هو فن آخر من فنون الشعر البارزة لدى شعراء العصر الجاهلي وقد برعوا فيه أيما براعة وحسن تصوير ودقة تعبير ، لا سيما حولهم صحراء أجالوا فيها النظر فوصفوا كلّ ما تقع عليه عيونهم من حيوان أو نبات أو ديار وأطلال تلك الديار ، متأملين في أمطارها – أي الطبيعة – وبرقها ونورها وظلامها ، فرسموا صوراً بديعة يحكي الدهر براعتها وإبداع هؤلاء الشعراء . وممّا نال الأهمية البالغة من تلك الطبيعة الحيوان الذي كان له أكبر الأثر في حياتهم فوصفوا الخيل من حيث جمالها وقوتها وسرعتها ، وكان من الشعراء ممن وصفها وبرع فيها امرؤ القيس والطفيل الغنوي والنابغة الجعدي ووصف المعارك والحروف إذ لها العلاقة الوثقى بالخيل ووصف الفرسان وسوح الوغى والنزال واسلحة الحرب والدروع .

ومن أحسن مَن وصف الخيل امرؤ القيس ؛ إذ يقول :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **وقد اغتدي والطيرُ في وكناتِها** |  |  |
|  |  | **بمنجردٍ قيل الأوابدِ هيكلِ** |
| **مكرٍّ مفرٍّ مُقبلٍ مُدبرٍ معا** |  |  |
|  |  | **كجلمودِ صخرٍ حطَّه السيلُ مِن علِ** |

ولعنترة في وصف سوح القتال :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **هلاّ سألتِ الخيلَ يا بنة مالكٍ** |  |  |
|  |  | **إنْ كنتِ جاهلةً بما لم تعلمي** |
| **يُخبركِ مَن شَهِدَ الوقيعة أنني** |  |  |
|  |  | **أغشى الوغى وأعفُّ عند المغنَمِ** |
| **ما زلتُ أرميهم بثُغرةِ نحرهِ** |  |  |
|  |  | **ولبَانهِ حتى تَسربلَ بالدَّمِ** |
| **فازورّ مِن وقعِ القنا بلبانه** |  |  |
|  |  | **وشكا إليَّ بعبرةٍ وتحمحمِ** |

واحتلت الناقة مساحات واسعة من شعر العرب في الجاهلية لأنها كانت رفيقتهم في رحلاتهم اللامتناهية في صحاريهم الواسعة ، وما تمثله الناقة للعربي الشيء الكثير ولكثرما ما ذكرها الشاعر في رحلاته بسرعتها وجمالها ومرافقتها له في رحلاته الطويلة واقترنت بها صور كثيرة أخرى لحيوان آهر وهو البقرة وعقد صور المشابهة في لوحاتهم الشعرية . ووصف الشاعر الجاهلي كل حيوان تقع عليه في تلك الصحراء من ذئب أو قطاة أو عقاب أو غراب أو نعامة وكذلك الظباء التي قرنوا مالها بجمال المرأة ورشاقتها ، كالذي نقرؤه في :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **كعاطيةٍ من ظباء الليل** |  |  |
|  |  | **حسّانة الجيد تُزجي غزالا** |

ولا بد أن يقترن ذكر الحيوان بذكر الصيد ووصف كلاب الصيد مع البقرة الوحشية أو الثور ، وذلك مما جاء كثيراً في لوحات الرحلة .

ومن الوصف ما جاء في وصف الليل والنجوم والبرد والمطر وحركة السيول وما تفعله في التربة والنبات ومن شعر امرئ القيس الكثير من وصف الليل والمطر ورحلات الصيد .

ويدخل ضمن فن الوصف وصف الخمرة ووصف مجالسها وآنيتها وغلمانها وندمانها ووصف القيان ورواحهن على الجالسين من غناء ورقص ووصف آلات الغناء ، وقد عرف الأعشى بوصف الخمرة ومجالسها وكان هو نفسه يحب الغناء وله آلة يعزف عليها وكان يُسمّى صناجة العرب .

ومن الشعراء من شبه ريق المرأة بطعم الخمرة لحبهم لها وتذوقهم إياها ، من ذلك قول عبيد بن الأبرص :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **لِمَن جمالٌ قُبيلَ الصبحِ مزمومه** |  |  |
|  |  | **مُيمّماتٌ بلاداً غيرَ معروفه** |
| **فيهن هندٌ وقد هام الفؤاد بها** |  |  |
|  |  | **بيضاءُ آنسة بالحسن مرسومه** |
| **كأنّ ريقتَها بعد الكرى اغتبقتْ** |  |  |
|  |  | **صهباءَ صافيةً بالمسكِ مختومه** |

**الحكمة :**

الحكمة دليل على رُقي عقلية الشعراء وتأملهم في قضايا الناس والحياة ، وهي ثمرة تجارب طويلة ونظر ثاقب ، ومن ثمّ فهي احساس دقيق بالحياة والتفكر في الماضين ومصائرهم وتأمل الشاعر في سعي الانسان وغايته . وقد جاءت حِكم الشعراء حقائق مجرّدة تمليها التجربة والمشاهدة وعلى وفق مثلهم العليا السائدة في عصرهم ، كانوا يصوغونها في بيت شعر أو مثل أو عبارة أنيقة موجزة ذات معاني كثيرة ودلالات بعيدة تقع من النفوس موقعها الأثير والأكيد فيقبلون عليها ويروونها ويحفظونها وتغدو أمثالاً تجري على الألسن على مرّ العصور والأجيال .

وظهرت الحكمة في دواوين كثير من الشعراء في العصر الجاهلي مِن مثل لبيد بن ربيعة وزهير وطرفة بن العبد وعبيد بن الأبرص وعدي بن زيد العبادي وعلقمة الفحل وحاتم الطائي وغيرهم كثير .

ومن الحكمة قول لبيد في رثاء أخيه اربد ، وليس غريباً أن يرتبط الرثاء بالحكمة لأنه يدعو الى التفكير في الحياة والكوت وتذكر الأحبة المفارقين بسبب الموت :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **بُليِنا وما تبلى النجومُ الطوالعُ** |  |  |
|  |  | **وتبقى الجبالُ بعدنا والمصانعُ** |
| **فلا جَزعٌ إنْ فرّقَ الدهرُ بيننا\** |  |  |
|  |  | **وكلُّ فتلا يوماً به الدهرُ فاجع** |
| **وما الناسُ إلاّ كالديارِ وأهلِها** |  |  |
|  |  | **بها يومَ حلّوها وغدوا بلاقع** |
| **وما المرءُ إلاّ كالشهابِ وضوئِه** |  |  |
|  |  | **يحورُ رماداً بعدُ إذ هو ساطعُ** |
| **وما المالُ والأهلونَ إلاّ وديعةٌ** |  |  |
|  |  | **ولا بدّ يوماً أنْ تُردَّ الودائعُ** |